عصره العلمي والأدبي

نشط التأليف في هذا العصر نشاطاً ملموساً، ولعلّ الوازع إليه هو تعويض ما ضاع من التراث إثر الاجتياحين الصليبي والمغولي.

ومن أبرز ماظهر فيه التأليف الموسوعي الذي كان رائده نصير الدين الطوسي (٦٧٢هـ) الذي ألّف في الفقه وفي الفلسفة وفي الرياضيّات والفيزياء والفلك والطب وعلم المعادن وحتّى في الموسيقى. كما كان صاحب أكبر مرصد فلكي أنشأه بنفسه في ذلك العصر.

وظهر علماء آخرون كتبوا في علوم متعدّدة، منهم: زكريّا بن محمّد القزويني (٦٨٢هـ)، وجمال الدين الوطواط (٧١٨هـ)، وأبو حيّان الأندلسي (٧٥٤هـ).

وبرع في الطبّ: ابن النفيس (٦٨٧هـ) مكتشف الدورة الدموية الصغرى.

وفي الفيزياء: العالمان الكبيران: قطب الدين الشيرازي (٧١٠هـ)، وتلميذه كمال الدين الفارسي (٧٢٠هـ).

وفي الرياضيّات: سعيد بن محمّد الصفدي (٧١٢هـ).

وفي علم الاجتماع وفلسفة التاريخ: ابن الطِقطِقي (٧٠٩هـ) في كتابه (الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية) وكان سابقاً لابن خلدون.

وفي اللغة: بعد أبي حيّان الأندلسي كان ابن منظور (٧١١هـ)، ثمّ ابن هشام الأنصاري (٧٦١هـ).

وبرز من المؤرّخين عدد كبير: كأبي شامة (٦٦٥هـ)، وابن العديم (٦٦٦هـ)، وابن خلّكان (٦٨١هـ)، وابن الفوطي (٧٢٣هـ)، والمِزّي (٧٤٢هـ)، والذهبي (٧٤٨هـ)، وآخرون.

وأمّا أوسع الناس تصنيفاً في العلوم الدينيّة خاصّة كالفقه والأُصول والتفسير والحديث فكان: العلّامة ابن المطهّر الحلّي (٧٢٦هـ) وله تآليف في علوم أُخرى كالهيئة والرياضيّات والفلسفة، شرح فيها كثيراً من كتب شيخه نصير الدين الطوسي حتى قيل: لولا شروح ابن المطهّر لم يفهم أحد كلام نصير الدين.

وإمام الزيديّة يحيى بن حمزة المؤيّد بالله (٦٦٩ ـ ٧٤٩هـ) والشيخ عليّ بن عبدالكافي السُّبكي (٦٨٦ ـ ٧٥٦هـ) إمام الشافعيّة، وله نحو مئة وخمسين مصنّفاً في العلوم الدينيّة.

كانت هذه النهضة العلمية صحوةً عقبها دور الضعف والانحطاط الذي كان أسرع سرياناً في النتاج الأدبي، إذ شهد هذا العصر انحطاطاً كبيراً في الشعر والأدب، فضعفت أغراض الشعر وشاع فيها التقليد وداخلته المعاني الركيكة والألفاظ العامّية، وابتعد عن معالجة هموم المجتمع، وكثُر النظم في الألغاز والأحاجي والحشيشة، وكثُر شعر الموشّحات غير أنّه غلب عليه التقليد والضعف ودخلته العامّية أيضاً. ولم ينج من تلك الأدواء سوى صفيّ الدين الحلّي (٦٧٧ ـ ٧٥٠هـ)، يليه ابن نباتة المصري (٦٨٦ ـ ٧٦٨هـ).